الأشياء قسمة بين الأصحاء من البشر . وإن يكن من المؤكد أن أى ناقد لا يمكن أن يستطيع تبرير وتسبيب جميع انطباعاته وأحاسيسه الجمالية المرهفة الهروب . وفى ذلك يقول الموسيقى العربى القديم إسحق الموصلى فى حديثه عن جمال النغم : «إن من الأشياء أشياء تدركها المعرفة ولا تحيط بها الصفة» أى أن هناك من الجمال ما يدركه الإنسان بإحساسه ولكنه لا يستطيع العبارة عنه وتبريره وتسبيبه بالصفات اللغوية ، أى بالحجج العقلية التى يستطيع الغير إدراكها ، وبالتالى الاقتناع بالإحساس الجمالى الذى تلقاه الناقد الخبير الحساس . وقديما قالوا إنه من المستحيل أن نجعل من الأبله سقراطا .

كان المنهج التأثرى والمنهج الموضوعى هما اللذان يتصارعان فى النقد فى أواخر القرن الماضى وأوائل الحاضر قبل أن تظهر وتسيطر فلسفات جديدة على وظائف الأدب والفن وأهدافها فى الحياة ، وهى فلسفات لم تعد تسلم للآداب والفنون بأنهما نشاط جمالى فحسب . وأهم هذه الفلسفات : الفلسفة الاشتراكية والفلسفة الوجودية اللتان نتج عنهما منهج نقدى جديد نستطيع أن نسميه بالمنهج الأيديولوجى ، وهو منهج يختلف عما كان يسمى فى أواخر القرن الماضى بالمنهج الاعتقادى ، فهو لا يريد أن يؤاخذ الأدباء والفنانين على أساس من معتقدات خاصة يتعصب لها الناقد وتعمى بصيرته ، على نحو ما كان بعض النقاد المتعصبين الذين يشوهون أدب مفكر حر كفولتير لأنه لا يحترم الاحترام الكافى فى نظرهم عقائد المسيحية ، ويسخر من رجال الدين ، ويرى أن مصدر نفوذهم إنما هو جهل العامة وغباؤهم- بل يسعى المنهج الأيديولوجى إلى تبين مصادر الأدب والفن من جهة ، وأهدافها أو